**مقياس : أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية . شعبة : سنة ثانية علم اجتماع**

تمهيد.

         إن اصطلاح الانتروبولوجية اصطلاح شامل وواسع يشمل دراسة التطور البيولوجي و الحضاري للانسان, العلاقات التي تحكم علاقات الشعوب بعضها ببعض.و الانتروبولوجيا كعلم , تنقسم الى قسمين: الانتروبولوجية الفزيقية أو البيولوجية و الانتروبولوجية الاجتماعية و الثقافية.

تهتم الانتروبولوجية الفزيقية بدراسة تطور الانسان وسلوكه . وكذلك الخصائص البيولوجية التي يتباين فيها البشر القدامى و المحدثين،اما الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية ،تهتم بدراسة المجتمعات و الثقافات الكثيرة المتنوعة التي تسير عليها المجتمعات، وقد اختصت و عرف عليها انها تهتم بدراسة المجتمعات البدائية.

الانتروبولوجية عامة تجتمع في علم واحد و تحت اسم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية و العلوم الاجتماعية ، فتركز مشكلاتها من ناحية على الانسان ككائن بيولوجي و على سلوك الانسان ككائن اجتماعي.

ولقد أسس العقل الانتروبولوجي الحديث داته بارجاع الانسان الى الطبيعة من جهة ، واثبات حريته و استقلاله من جهة اخرى، وما يهمنا هنا هو هدا الاخير الدي استمد اسسه ومقوماته مع تطور البحوث في مجال التاريخ التقني و الثقافي للانسان،مقارنة بتاريخه الطبيعي من منظور فكرة التقدم و التطور الحضاري للبشر، وعلى العموم فقد ارتبط تكون العقل الانتروبولوجي الحديث بالوعي بالتقدم في مجال الثقافة البشرية، عززته نزعة تطورية موضوعها التاريخ الطبيعي للجنس البشري وتاريخه الثقافي و الاجتماعي . هدا فضلا عن اعتبار الثقافة و التقنيات و المؤسسات التي يقيمها البشر طوال تاريخهم ، ما هي الا وسائل للتكيف مع البيئة الطبيعية لاجل حفظ البقاء و التطور وضمان استمرار النوع البشري.

**أولا: الانتروبولوجية الثقافية**

         تهتم الانتروبولوجية الاجتماعية و الثقافية بنظام الثقافة العام الذي يؤطر حياة مجموعة بشرية معينة، علما أن الثقافة تعني "مجموع الأنظمة الاجتماعية و الاقتصادية و أنظمة التربية و السلطة و أنظمة التبادل و اللغة و الفنون و القيم و المعايير القانونية و الدينية السائدة فيها، و قد تفرعت مباحث الانتروبولوجية الثقافية و الاجتماعية في أواسط القرن 20،الى فروع متخصصة ،كل فرع يهتم بجانب من جوانب الثقافة الاجتماعية ،كالدين أو ظواهر الصحة و المرض أو الظواهر الجنسية...وظهرت على الساحة الأكاديمية تخصصات تحمل اسم انتروبولوجيا ، لكنها تتنوع بتنوع موضوعاتها.

1**-ماهية الثقافة داخل الانتروبولوجيا:**

يتفق علماء الانثروبولوجيا الثقافية على أن الثقافة هي موضوع علمهم، ولكنهم يختلفون في تعريفها، ولم يظهر هذا الاختلاف في العقود القليلة السابقة حيث في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان هناك شبه اتفاق على الأخذ بالتعريف الشهير الذي وضعه "تايلور Tylor" في كتابه «الثقافة البدائية» الذي يقول فيه: «الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع». وقد تبنى الأنثروبولوجيين هذا التعريف لعقود عدة إلى أن جاء التعريف الذي توصل إليه كل من "كروبر Kroeber" و"كلاك هون Kluckohn" من تفحصهما لما يزيد عن مائة تعريف من التعريفات التي قدمها الأنثروبولوجيين للثقافة ولم يجدا من بينها تعريفا مقبولا، إذ وجه القصير في الكثير منها يكمن في كون هذه التعريفات لا تميز بوضوح بين المفهوم والأشياء التي يشير إليها. ومن ذلك حدد الأمريكيان "كلاك هون" و"كروبر" تعريفا للثقافة حيث يقول "كلاك هون": «... نقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية واللاعقلية، وهي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة». وقد لقي هذا التعريف قبولا لدى علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا حيث انطلق من هذا التعريف كل من "بيلز Beals" و"هويجر Hoijer" في تعريفهما للثقافة بأنها: «تجريد مأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسيا ولكنها ليست هي ذلك السلوك»، ويقولان في كتاب صدر لهما عام 1953م «مدخل إلى الأنثروبولوجيا» أنه: «لا يستطيع الأنثروبولوجي أن يلاحظ الثقافة مباشرة» ويؤيد هذا التعريف عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية "راد كليف براون Radcliffe Brouon" بقوله: «لا تعبر الثقافة عن أي شيء واقعي محسوس وإنما عن تجريد، وغالبا ما يستخدم كتجريد غامض» ومن ذلك يتضح أن هذه التعريفات تصب اتجاهين: اتجاه واقعي يرى أن الثقافة هي كل يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة من البشر. واتجاه تجريدي يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردهاالعالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة.

وقد ناقش الأنثروبولوجي "هوايت White" هذين الاتجاهين وانتهى إلى نظرية جديدة في تعريف الثقافة، القائلة بأن الثقافة هي الأمور المحسوسة التي تتمثل في الأشياء والأفعال والأفكار التي هي من صنع الإنسان، وعلى عالم الأنثروبولوجيا الثقافية أن يلاحظ تلك الأمور المحسوسة بصورة موضوعية وأن يطبق طرق البحث العلمي بغرض دراسة طبيعتها بدقة والوصول في النهاية إلى القوانين الخاضعة لها. وبهذه النظرية يتضح بأن "هوايت" يرفض الاتجاه التجريدي لكي يحافظ علىاستقلالية الأنثروبولوجيا عن علم النفس «في دراسة السلوك» ويأخذ بالاتجاه الواقعي.

2**-مفهوم الانتروبولوجية الثقافية وماهيتها**.

تتناول الانتروبولوجية الثقافية  طريقة معيشة مجتمع ما، سواء أكان ذلك المجتمع بدائي أو متخلف أو نامي أو متقدم. والثقافة من صنع الإنسان وهي ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطبيعة مثل قانون التطور وقانون البقاء للأصلح ولذلك يدرسها هذا الفرع بمناهج علمية لا تختلف عن المناهج التي تستخدمها العلوم الطبيعية.

وقد كان لاكتشاف مفهوم الثقافة من طرف "تايلور Tylor" أكبر الأثر في تنظيم موضوعات هذا العلم في إطار واحد، فهو المركز الذي ينتظم حوله معظم الظواهر التي ترتبط عن قريب أو بعيد بالإنسان، وبالتالي فالأنثروبولوجيا الثقافية ترمي إلى فهم طبيعة ظاهرة الثقافة وتحديد عناصرها سواء في المجتمعات الحالية أو المجتمعات القديمة، فهي تبحث في التغير الثقافي وعمليات الاقتراض والامتزاج والصراع بين الثقافات، وتحديد نتائج تلك الاتصالات الثقافية، كما تدرس خصائص الأشكال المتشابهة من الثقافات أي الأنماط الثقافية التي تحدث بصورة مستقلة في الأماكن والعصور المختلفة.

  وتكون دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية ذات جانبين:

**الجانب الأول:** هو الدراسة المتزامنة أو في زمن واحد «أي دراسة المجتمعات والثقافات في نقطة زمنية من تاريخها.

**الجانب الآخر**: هو الدراسة التتبعية أو التاريخية وهو دراسة المجتمعات والثقافات عبر التاريخ. ومن الواضح أن علم الآثار يكرس نفسه للدراسات التتبعية، حيث يركز في الأساس على المجتمعات والثقافات القديمة، وكذلك على المراحل الغابرة من الحضارات الحديثة، وهو يحاول إعادة رسم صورة الأشكال الثقافية الماضية، وتتبع أثرها وتطورها عبر الزمان.

3**-فروع الانتروبولوجية الثقافية:**

**\*الاثنولوجيا Ethnologie:**

يختص بدراسة ثقافة المجتمعات الموجودة وقت الدراسة وكذلك الثقافات التي انقرضت بشرط توافر تسجيلات مكتوبة لشهود عاشوا في تلك الثقافات. ويدرسالأثنولوجي كل ثقافة المجتمع أو المجتمعات التي يبحثها، ولذلك يبحث النظم السياسية والاقتصادية والدين والتقاليد والفنون الشعبية وفروع المعرفة والفنون الصناعيةوكذلك المثل العليا والفلسفات. وقد اتفق معظم العلماء على إطلاق اصطلاح «اثنوغرافيا» على الدراسة التي تقتصر على وصف ثقافة مجتمع ما، ويطلق اصطلاح«اثنولوجيا» على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة فالأثنولوجي يهتم بالمقارنة بين الثقافات التي يصفها الأثنوغرافي، ويهدف الأثنولوجي من تلك المقارناتالوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية ولظاهرة التغير الثقافي وآثار الاتصال بين مجموعات أو أشكال على أساس مقاييس معينة.

\***علم الآثار Archéologie:**

يدرس ماضي الإنسان، ويرمي إلى تحديد وتتابع التغير الثقافي على مر العصور، ويهدف كذلك إلى إعادة بناء «عملية تصورية» الحياة الاجتماعية لمجتمعات ما قبل التاريخ. ويوجد اختلاف جوهري بين علماء الآثار وعلماء التاريخ، فبينما يدرس علماء التاريخ الفترات المسجلة كتابة للمدنيات الكبرى في الشرق الأوسط وأوروبا والشرق الأقصى، يهتم علماء الآثار بالفترات والمراحل التاريخية الطويلة التي قضاها الإنسان قبل اكتشاف القراءة والكتابة. ويعتمد عالم الآثار في دراساته على البقايا التي خلفها الإنسان والتي تمثل ثقافاته. وقد توصل العلماء إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يحتمل وجود بقايا حضارية بها، وتوصلوا كذلك إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتسجيلها وتحديد المواقع التي توجد فيها وتصنيفها للتعرف عليها ومقارنتها ببعضها، ويستطيع علماء الآثار عن طريق تلك المناهج استنتاج الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة وتغيراتها واتصالاتها بغيرها.

 ويتعاون علماء الآثار في أبحاثهم مع المؤرخين والأنثروبولوجيين باختلاف تخصصاتهم، فمثلا يمدهم الأثنوقرافيون والمؤرخون بالمعلومات الخاصة بالثقافات التي جاءت بعد أو نمت عن حضارات ما قبل التاريخ. كما أنهم يستفيدون من أبحاث ودراسات علماء الجيولوجيا وعلماء النبات والحيوان والمناخ في تأريخ وتحقيق هوية البقايا التي يكتشفونها. وكثيرا ما يستخدمون التجارب المعملية لاكتشاف خصائص ومناخ لبقايا «الأركيولوجية»، ولذلك يحتاج عالم الآثار إلى معرفة واعية بالكيمياء والطبيعيات والمهارات الدقيقة. وقد نجح العلماء المحدثون في اختراع وسيلة جديدة لتحديد عمر البقايا بدقة وهي طريقة «الكربون المشع» وتعرف باسم «C14»، وكثيرا ما يتعاون علماء الآثار مع غيرهم من العلماء المتخصصين في انثروبولوجيا الطبيعة وذلك لكثرة تواجد الحفريات الإنسانية مع البقايا الثقافية، وتوضع البقايا التي يكتشفها علماء الآثار في متاحف خاصة بذلك، ومن أمثلة تلك البقايا الأدوات الحجرية للإنسان القديم وكذلك قطع صغيرة من الأواني الفخارية، وحراب وأقواس وسهام قديمة للغاية. وتوجد بعض الأقسام - في الجامعات الكبيرة المتقدمة - المتخصصة في علم الآثار وتدرس مبادئ العلم لطلبة أقسام الأنثروبولوجيا بكليات العلوم الاجتماعية، على أن يتخصص الطالب في الدراسات العليا في علم الآثار.

**\*علم اللغويات Archéologie:**

يستخدم المنهج العلمي في دراسة اللغات، ويعتبر أحد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية لأن اللغة أحد عناصر الثقافة بل هي أهم تلك العناصر. وينقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعية أهمها علم اللغويات الوصفي، وعلم أصول اللغات. ويهتم علم اللغويات الوصفي بتحليل اللغات في زمن محدد ويدرس النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات، ويعتمد عالم اللغة في دراساته على اللغة الكلامية ولذلك يستمع إلى المواطنين وخاصة أن معظم دراساته تكون متعلقة بلغات كلامية لم تكتب بعد، فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام رموز دولية متعارف عليها. تتركز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القراءة والكتابة ولكنها ذات لغة كلامية إذ لا يوجد مجتمع إنساني مهما تخلفت ثقافته دون لغة كلامية.

أما علم أصول اللغات فيختص بالجانب التاريخي والمقارن حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة، وتتعقد المشكلة بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك وثائق مكتوبة، وتوجد وسائل خاصة لبحث تاريخ تلك اللغات، يهدف هذا القسم إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية.

توجد علاقات تعاونية بين عالم اللغة والأنثروبولوجي الثقافي، وذلك لأن على الأثنولوجي والأنثروبولوجي الاجتماعي أن يدرس لغة المجتمع الذي يبحثه ولا يتم ذلك إلا عن طريق دراسة مبادئ علم اللغويات، ولكن من الناحية الواقعية نلاحظ أن علم اللغويات له أقسام مستقلة في الجامعات، والسبب في ذلك إمكان دراسة اللغة وتحليل عناصرها بصورة مستقلة عن بقية عناصر الثقافة ويقوم المتخصصون في تلك الأقسام بتدريس مادة اللغويات وفروعها لطلبة أقسام الأنثروبولوجيا. وقد تقدم علم اللغويات في العصر الحاضر ويستخدم الآن مناهج وآلات دقيقة في دراسة لغات العالم ولذلك توصل إلى قوانين عامة دقيقة لا تقل في دقتها عن قوانين العلوم الطبيعية.

4**-نشأة وتطور الانتروبولوجية الثقافية**

**أ- نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية:**

موضوع دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية هو الثقافة، ولذلك ارتبطت نشأة هذا الفرع للأنثروبولوجيا بظهور أول مفهوم واضح لاصطلاح الثقافة، وقد تم ذلك لأول مرة على يد "تيلور Tylor" في عام 1871م حين قال: «الثقافة ... هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته عضو في المجتمع» وقد ساد هذا التعريف عند كل رواد هذا الفرع في القرن التاسع عشر، بل أن العلامة الأمريكي "لوي Lowie" الذي يعد مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا – قد بدأ كتابه الشهير «المجتمع البدائي 1920» بنقل تعريف "تايلور" للثقافة ووصفه «بالتعريف الشهير»، ومن الرواد الآخرين لهذا الفرع في أمريكا كل من "مورجان Morgan" و "باندليير      Bandlier" و "كاشينج Cushing" و"دورسي Dorsey" و "فليتشر Fletcher"، أما في انجلترا فبالإضافة لإلى العالم "تايلور" نجد العلماء "مين Maine" و"ماكلينان Mclennan" و"بت رفز Pitt Rivers" و"لبوك Lubbock" و"روبرتسن سميث Robertson Smith" و"فريزر Frazer"، ومن العلماء الألمان العالم "باخوفين Bachofen"، وكان لظهور العالم الأمريكي "فران بواز Franz Boas" «1858-1943م» أكبر الأثر في الأنثروبولوجيا إلى وجهة جديدة تختلف عن المدرسة التطورية، ويرجع إليه الفضل في نشر الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا بحيث أصبح معظم المتخصصين في هذا الفرع من الأمريكيين، ومن الممكن تسمية الاتجاه الجديد «بالمدرسة التاريخية» ويتمثل في موضوعين:
الأول: الاهتمام بالدراسات التفصيلية لثقافات فردية صغيرة مثل ثقافات العشائر والقبائل، وتتم دراسة العشيرة أو القبيلة في إطار منطقتها الإقليمية الثقافية، وترمي تلكالدراسة إلى إعادة بناء وتصور تاريخ ثقافة تلك العشيرة أو القبيلة في الماضي.
الثاني: المقارنة بين تواريخ مجموعة القبائل التي درست لتحقيق الغرض النهائي للأنثروبولوجيا الثقافية كما يحدده العالم "بواز"، وهو الوصول إلى قوانين عامة لنمو الثقافات، وكانت القوانين التي توصل إليها "بواز" عن طريق منهجه هذا ذات طابع نفسي.

**ب-فتراتها التكوينية:
أ-الفترة التكوينية للأنثروبولوجيا الثقافية   «  «1900-1915**

تركزت في تلك الفترة مجهودات وأعمال تلاميذ العالم "بواز" في القسم الأول من اتجاهه أو نظريته وهي الدراسات التفصيلية لمجتمعات صغيرة لتحديد عناصر وتاريخ وتطور ثقافاتها، ونتج عن ذلك دراسات ميدانية كثيرة متعلقة بالقبائل الهندية في أمريكا، وكانت تلك القبائل في طريقها للانقراض مما أدى إلى تلهف علماء الأنثروبولوجيا على تسجيل ثقافاتها. وجاءت بعد ذلك مشكلة هامة وهي تنظيم تلك المعلومات الكثيرة والمتعددة الخاصة بقبائل الهنود الحمر، وتوصل العالم الأمريكي "ويسلر Clark Wissler" إلى وسيلة جديدة في هذا المجال تعرف «بالمنطقة الثقافية»، ترمي تلك الوسيلة إلى تقسيم أو تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية، تتكون كلمجموعة من عدة ثقافات متشابهة، وقد أطلق على كل مجموعة مصطلح «المنطقة الثقافية»

       فالمنطقة الثقافية هي إقليم أو منطقة من العالم تعيش عليها مجموعة من المجتمعات الإنسانية ذات الثقافات المتشابهة، وللوصل إلى تحديد تلك المنطقة الثقافية لابد من دراسة ثقافات مجتمعات منطقة محدودة بشيء من التفصيل لتحديد عناصر تلك الثقافات وتحديد مدى انتشار تلك العناصر في المنطقة الثقافية، وتعرف العناصر الثقافية ومن أمثلة تلك العناصر الوسائل المستخدمة في الحصول على الطعام وطرق طهي الطعام والأدوات المستخدمة في الصيد وفي الطهي والزينة، والمواد المستخدمة في بناء المنازل وأساليب بناءها، هذا بالإضافة إلى النظم الاجتماعية كنظام القرابة واصطلاحات القرابة ونظم الزواج ونظم تربية الأبناء والنظام الديني بعناصره المختلفة والنظام السياسي وما إلى ذلك، وقد وضع "ويسلر" نموذجا لشرح نظريته فشبه المنطقة الثقافية بدائرة، ومركز تلك الدائرة يمثل «مركز الثقافة» ويقصد بذلك المصطلح المكان أو المجتمع الذي تتركز فيه معظم العناصر الثقافية المنتشرة في المنطقة الثقافية أو الذي يوجد فيه أكبر تكرار للعناصر الثقافية النمطية، وبالقرب من محيط الدائرة يوجد «هامش الثقافة» حيث تقل عناصر المنطقة الثقافية وذلك لاختلاط تلك العناصر بعناصر ثقافية أخرى. طبق مفهوم المنطقة الثقافية بدرجات متفاوتة من النجاح على عدة نظم ثقافية في مناطق متعددة من العالم بل لقد طبق على قارات بأكملها مثل أمركا الشمالية وأفريقيا وآسيا وأوروبا. حاول بعض العلماء الانتقال من مبدأ «المنطقة الثقافية» القائم أساسا على فكرة ظهور العنصر الثقافي في مكان محدد لأول مرة ثم ينتشر استخدامه في المناطق المحيطة به إلى مبدأ «المنطقة الزمنية» على أساس أن عمر العنصر الثقافي يكون في المكان الذي ظهر فيه أطول من عمره في الأماكن الأخرى التي انتشر فيها، تعرض تطبيق مبدأ «المنطقة الزمنية» لعقبات ومشاكل كثيرة ولذلك لم ينجح مثل مبدأ «المنطقة الثقافية» وليس معنى ذلك أن نظرية «المنطقة الثقافية» لم تتعرض للنقد السلبي، فقد أثير حولها الكثير من الجدل والاعتراضات، وقد لخص العالم "ديكسون Dixon" تلك الاعتراضات فيما يلي:

عدم وضوح طريقة التطبيق، فمثلا نمط ثقافي مثل الزراعة هل ننظر إليه على أنه عنصر ثقافي بسيط أم عنصر ثقافي مركب يتكون من عدة عناصر ثقافية بسيطة؟

صعوبة تحديد خطوط دقيقة تفصل بين منطقة ثقافية وأخرى، إذ أن مثل تلك الخطوط لا توجد في الواقع نظرا لتداخل المناطق الثقافية في الإقليم الواحد.

قد يفهم من نظرة «المنطقة الثقافية» أن هناك ترابط بين البيئات الجغرافية والحضارات التي توجد فيها، ولكن تثبت الدراسات الميدانية عدم عمومية ذلك الترابط، إذ يعيش الإنسان في البيئات الجغرافية المتشابهة بطرق معيشة مختلفة تماما عن بعضها بحيث نجد ثقافات مختلفة تماما في بيئات جغرافية متشابهة، ومن ناحية أخرىقد نجد ثقافات متشابهة في بيئات جغرافية مختلفة.

ب**-فترة ازدهار الأنثروبولوجيا الثقافية «1915-1930م».**

تتميز تلك الفترة بكثرة الأبحاث والمناقشات في الأنثروبولوجيا الثقافية ويرجع ذلك إلى نضوج العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه، أخذت تتركز دراسات هذا العلم في أمريكا وأصبح معظم علمائه من الأمريكيين.

افتتح العالم الأمريكي "سابير Sapir" هذه الفترة ببحثه الشهير: «عامل الزمن...» وبدأه بالعبارات التالية التي تؤكد مبادئ المدرسة التاريخية: «تسير الأنثروبولوجياالثقافية بسرعة نحو اتخاذ القرار صورة على التاريخ، إذ لا يمكن فهم معطياتها سواء في ذاتها أو في علاقتها مع بعضها إلا على أنها فقط نهاية لحوادث معينة متتابعة ترجع إلى ماضي بعيد.» ويقصد بذلك أنه لا يمكن فهم الدراسات الوصفية لعناصر الثقافات المختلفة إلا عن طريق تحليل تاريخ تلك العناصر أي لا يمكن فهم الحاضر إلا بالرجوع إلى الماضي.

قام في تلك الفترة الكثير من العلماء مثل "ويسلر Wissler" و "لوي Lowie" و"كروبرKroeber" و"سبير Spier" والعالمة الأمريكية "بينيديكت Benedict" بأبحاث ممتازة خاصة بدراسات إقليمية تطبق فيها التحليل التوزيعية للعناصر الثقافية في حدود فترات زمنية معينة وتطبق فيها كذلك تحليل العمليات الثقافية.

توصل العالم "ويسلر" إلى مبدأ الانتشار الخاص بانتشار العناصر الثقافية من مجتمع لآخر، وبحث "ويسلر" كذلك العوامل الدينامية التي تؤثر في المنطقة الثقافية والبيئةالجغرافية المؤثرة فيه.

وفي انجلترا ظهر فرع أخر لتلك المدرسة الانتشارية وخير من يمثلها العلامة "سميث Elliot Smith" الذي كان متخصصا في المخ الإنساني ثم أصبح مهتما بدراسات الأنثروبولوجيا الثقافية. وقد أعجب "سميث" وبعض زملائه في جامعة مانشستر بالآثار التي اكتشفها عالم الآثار "بتري" في مصر، عندما فحصوا المعطيات الثقافية والآثار الخاصة بأماكن أخرى في العلم وجدوا تشابها واضحا بين تلك الآثار وآثار مصر القديمة فاستنتجوا من ذلك انتشار عناصر الثقافة المصرية من مصر إلى جميع أجزاء العالم.

كما يوجد فرع آخر للمدرسة الانتشارية في ألمانيا اختص بدراسة تاريخ ثقافات العالم وكانوا يطلقون على طريقهم اصطلاح المنهج التاريخي في دراسة الثقافة. ويعد العلامة الألماني "جرابنر graebner" المؤسس الأول لذلك الفرع.

ازدهرت في تلك الفترة الأنثروبولوجيا الثقافية ليس فقط لكثرة الأبحاث والمدارس وإنما لازدياد اهتمام الدول المتقدمة بهذا العلم عن طريق إنشاء المتاحف الأنثروبولوجية وخاصة في أمريكا التي اهتمت بجمع الآثار والتحف الفنية الممثلة لجميع ثقافات العالم وتصنيفها وعرضها بطريقة جذابة في المتاحف المعدة لذلك.
**ج-الفترة التوسعية للأنثروبولوجيا الثقافية «**1930-1940م».

تتميز تلك الفترة بالتحولات والمشكلات الخاصة بالأنثروبولوجيا الثقافية وخاصة في أمريكا التي تركزت فيها دراسات هذا الفرع للأنثروبولوجيا. ففي تلك الفترة تعرضت كل من المدرسة التاريخية والمدرسة الانتشارية للنقد الشديد من داخل ومن خارج أمريكا وخاصة من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية. اعترفت الجامعات الأمريكية والأوروبيةبالأنثروبولوجيا الثقافية وخصصت لها فرعا في أقسام علم الاجتماع، على النقيض من ذلك ضعف نشاط المتاحف الأنثروبولوجية وقلة أبحاثها بسبب الانهيار الاقتصادي الذي تعرضت له أمريكا في تلك الفترة. وفي تلك المرحلة تقدم علم الآثار وأصبح له مناهج ومقاييس خاصة بعمليات تاريخ الآثار والعناصر الثقافية، أثبتت تلك المقاييس عدم صحة نتائج «المدرسة الانتشارية» التي اعتمدت فقط على التحليل التوزيعي للعناصر الثقافية.

   في هذه الفترة تقدمت وازدهرت دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية بفضل أبحاث كل من "مالينوسكي Malinowski" و"راد كليف براون Radcliffe Brown"، وعندماوصلت تلك الأبحاث إلى أمريكا معقل الأنثروبولوجيا الثقافية أحدثت آثارا عميقة في مفاهيم ومناهج الأنثروبولوجيا الثقافية إذ تبين أن هناك مدارس أخرى غير «المدرسةالتاريخية» و«المدرسة الانتشارية». فنجد العالم "كروبر  Kroeber" يعيد فحص العلاقة بين «المناطق الثقافية» و«المناطق الجغرافية الطبيعية» بطريقة أكثر عمقا. وتوصل إلى مفهوم جديد وهو «قمة الثقافة» ويقصد بذلك النقطة أو المكان الذي يمثل أقصى تركيز أو تمثيل لثقافة معينة.

   ومن النظريات الهامة التي اكتملت معالمها في تلك الفترة «النظرية التناسقية التكاملية»، مهد لها العالم الأمريكي "سابير Sapir" عندما اعترض على فكرة فصل الثقافة عن الأفراد الذين يصنعونها ولذلك نادى بضرورة اهتمام الأنثروبولوجيا بالفرد وبأفكاره وبمشاعره وعدم ترك هذا الموضوع لعلماء النفس وحدهم، أكد خاصية «الرمزية» لأن كل سلوك ثقافي هو سلوك رمزي، أي قائم على معاني مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع موضوع الدراسة.

هذه المدرسة تجمع بين الاهتمام بالسلوك والأعمال والاهتمام بالأفكار والعواطف والقيم والأهداف عند دراسة الثقافة. ظهر تأثير تلك المدرسة في أيامنا هذه إذ نجد ازدياد الاهتمام بدراسة الثقافة والشخصية معا بحيث لا يمكن فهم أحدهما دون الآخر، وتعرف تلك الدراسات باسم «الأنثروبولوجية النفسية». نجد العالم "سابير" يربط بين تحليلاته للثقافات ونظريات علم النفس العلاجي، ونلاحظ أن العالم "لينتون Leniton" يتخذ موقعا توفيقيا بين المناهج القديمة والحديثة وركز اهتمامه في اتجاه جديد هو موضوع «الثقافة والشخصية» الذي يمثل التعاون بين الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم النفس.

     ومن التفرعات الجديدة الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة التوسعية ،الاهتمام بموضوع «امتزاج الحضارات»، اهتم به كل من "ريدفيلد" و"لينتون" و"هيرسكوفيتز"وغيرهم. ويجب الإشارة أيضا إلى ظهور فرع الأنثروبولوجيا التطبيقية الذي يستخدم مفاهيم ونتائج الأنثروبولوجيا في المجالات العملية مثل الإدارات والهيئات الخاصة بتطوير قبائل الهنود الحمر بالأمريكيتين وقد سبق عرض بعض دراسات ذلك الفرع.

ومن الخصائص الأساسية لتلك الفترة التوسعية أنه رغم غزارة تلك التفرعات التي انبثقت عن الأنثروبولوجيا الثقافية لم تظهر دراسات ممتازة تتناول موضوع العلم الأساسي ولذلك لم يحدث تقدم واضح في مفاهيم ومناهج ومدارس الأنثروبولوجيا الثقافية.

**د-الأنثروبولوجيا الثقافية في الفترة المعاصرة** «1940- 1970م».

تتميز تلك الفترة بظهور اتجاهات جديدة وبانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في الجامعات الأمريكية والأوروبية وكذلك في جامعات المجتمعات النامية بأفريقيا وآسيا وأمركيا اللاتينية، ويجب ملاحظة أن اهتمام الجامعات الأفريقية يتركز حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية نظرا لارتباطها بالجامعات الانجليزية التي لا تعترف تقريبا إلا بالأنثروبولوجياالاجتماعية.

وتعد الدراسات على المستوى القومي من أهم الاتجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية إذ انتشرت الدراسات الخاصة بالمجتمعات الحديثة الكبيرة بغرض تحديد خصائص ثقافتها على المستوى القومي، فنجد أبحاثا حول خصائص الثقافة الأمريكية أو الثقافة الألمانية أو الثقافة اليابانية أو الصينية، ومما ساعد على ظهور هذا الاتجاه فترة الحرب العالمية الثانية، فنجد العالمة الأمريكية "بنيديكت" تقوم بدراسة لتحديد معالم الثقافة اليابانية والمعروف أن اليابان كانت في حالة حرب مع أمريكا في ذلك الوقت، لذلك اعتمدت في تلك الدراسة على اليابانيين الموجودين في أمريكا بالإضافة إلى المراجع المكتبية.

ومن أهم الأبحاث الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية الاتجاه التخصصي وهو اتجاه ذو جوانب متعددة، فقد يتخصص العالم في دراسة منطقة ثقافية محددة أو في دراسة ثقافية معينة بالذات أو في خصائص ومبادئ الأنثروبولوجيا الثقافية مثل المنهج وطرق البحث أو تسجيل تاريخ هذا العلم.

ترتب على انتشار الاتجاه التخصصي أن اتضحت الفروق بين الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية وأصبحا فرعين مختلفين للأنثروبولوجيا.

ظهر في الفترة المعاصرة اتجاه حديث آخر وهو زيادة التعاون والتبادل على مستوى الأساتذة وطلبة الدراسات العليا المتخصصين في الأنثروبولوجيا بفرعيها الثقافي والاجتماعي. فأقامت بعض الجامعات الانجليزية والأمريكية محطات للدراسات الحقلية للأنثروبولوجيا بأفريقيا وآسيا. وبدأت بعض المؤسسات تشجع وتمول أبحاث الأنثروبولوجيا الحضارية مما أدى الى ازدهار تلك الأبحاث.

5**- علاقة الأنثروبولوجيا الثقافية بالأنثروبولوجيا الاجتماعية.**

 يختلف الأنثروبولوجيون فيما بينهم حول وضع الحدود الفاصلة بين الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية. فلا يمكن تحديد الفروق الأساسية بين الأنثروبولوجيا الثقافية التي تختص بموضوع الثقافة والأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تختص بالبناء الاجتماعي الذي هو أحد القطاعات الكبرى للثقافة، وذلك لوجود اختلافات في المراحل التكوينية التي مر بها كل علم.
لذلك تذهب المدرسة الإنجليزية إلى ضرورة الفصل بين الأنثروبولوجيتين على أساس أن كل فرع مهما مستقل بذاته، أما المدرسة الأمريكية فترى أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرع من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية. فقد استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية في انجلترا لأول مرة عندما أطلق على أول كرسي جامعي لهذا العلم، ولقد شغله "فريزر Fraiser"، ولقد اختير هذا المصطلح للتمييز بينه وبين الأنثروبولوجيا الطبيعية الذي كان يطلق عليه تجاوزا مصطلح «الأنثروبولوجيا»

اتضح مفهوم هذا العلم بوضوح عندما شغل ذلك الكرسي العالم "راد كليف براون Radcliffe Brown" الذي حدد موضوعه على الأنثروبولوجيا الاجتماعية من موضوع الأنثروبولوجيا الثقافية عندما قرر "دور كايم Durh Keim" ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها «أشياء»، ترتب على ذلك إعلان كل من العلامة الفرنسي "موسMauss" والإنجليزي "مالينوسكي" أن «الأشياء» التي من صنع الإنسان هي أيضا ظواهر اجتماعية وتدخل في نطاق علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية، يرى العالم "ليفي ستراوس" أن هذا الإدماج للأشياء في نطاق الأنثروبولوجيا الاجتماعية ساعد على اقترابه التام من الأنثروبولوجيا الثقافية ويقول ما نصه: «وهكذا يمكن لنا أن نقول أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية أصبحتا تدرسان نقس الموضوعات، ولكن يوجد اختلاف بسيط وهو أن الأنثروبولوجيا الثقافية تبدأ بدراسة الأشياء المادية والفنون العملية وتنتقل منها إلى دراسة النشاط الاجتماعي والسياسي، بينما تبدأ الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة الحياة الاجتماعية والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الأشياء التي هي من نتاج العلاقات الاجتماعية وعن طريقها تعبر الحياة الاجتماعية عن نفسها. ويمكن تشبيه هذين العلمين بكتابين يحتويان على فصول متشابهة، ولكن يختلفان في ترتيب تلك الفصول وفي عدد الصفحات».

ومع ذلك فهو يعترف بوجود اختلافات أخرى يسميها بالطفيفة، ففيما يتعلق بالأنثروبولوجيا الاجتماعية نجد أنها من اكتشاف أن جوانب الحياة الاجتماعية من اقتصادية وفنية وسياسية وقانونية وجمالية ودينية تكون في الحقيقة مركبا متميزا لا يمكن فهم أي جانب منه إلا بالرجوع إلى باقي جوانب ذلك المركب لمعرفة التداخل الوظيفي بينهما، ونمى من مفهوم الوظيفة الاجتماعية مفهوم جديد وهو البناء الاجتماعي وهو مصطلح علمي للمركب سابق الذكر، وأصبح البناء الاجتماعي هو موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية وساد الاتجاه الإستاتيكي في دراسات هذا العلم، ورغم أن الأنثروبولوجيا الثقافية قد توصلت لذلك الفهم الكلي للثقافة كمركب متداخل العناصر والجوانب إلا أنها اتبعت في ذلك الاتجاه الدينامي وخاصة في عملية انتقال التراث الثقافي من جيل إلى جيل، وعن طريق ذلك الاتجاه الدينامي وضحت الثقافة ككل متداخل وليس كعناصر متفرقة، وينتهي "ليفي ستراوس" من هذه المناقشة إلى استنتاج أن الفرق بين العلمين هو في أسلوب الدراسة وليس موضوع الدراسة لأن الموضوع واحد تقريبا فلا يوجد مجتمع إنساني دون ثقافة، ولا يمكن أن توجد ثقافة حية دون مجتمع

**ثانيا : الانتروبولوجية الاجتماعية**

بالنسبة لموضوعي في هدا البحث المتواضع،هو تقليد حديث خاص في الخطاب الفكري الطويل الأمد و المتغير حول جدلية الثقافة، المجتمع و الحضارة،و مساهمتهما في تركيبة الانتروبولوجية الاجتماعية ، فقبل الخوض في تعريف هده الاخيرة ، وتبيان نشأتها و مراحلها و أهدافها ، لابد أن نعرف هاته المصطلحات المساهمة في تركيبتها، و نبرز العلاقة بينها.

فمصطلح الثقافة كان أول من عرفه هو العالم الانتروبولوجي "تايلور" في الجملة الافتتاحية في كتابه "الثقافة البدائية" لكن هناك اختلاف تام بين الباحثين في تدقيق هدا  المفهوم ،اد نجد البعض قد نفاه من العلم، فعند العرب و في المعاجيم ، كان هناك لفظ "ثقف" يطلق على الحذق و الفهم والإدراك ، و قد عرفها بعض الباحثين بأنها أسلوب الحياة السائدة في المجتمع

حيث يتشربها الإنسان مند ولادته و تكون عاداته و تقاليده.  وحتى نبقى في الإطار الانتروبولوجي للثقافة ،فقد استعملها الانتروبولوجيين استعمالات مختلفة بعضها ضيق و بعضها الآخر أكثر توسعا و لعل هدا ما تم توضيحه في الفصل السابق.

أما في علاقتها مع المجتمع داخل الإطار الانتروبولوجي ، يمكن القول مع "فرانسوا لابلانتين" أن الاجتماعي  هو جملة العلاقات التي تقيمها المجموعات البشرية فيما بينها وداخل جماعة واحدة بعينها، وفي علاقاتها بجماعات اخرى تخضع هي الأخرى الى تراتبية ، أما الثقافة فهي ليست شيئا آخر سوى الاجتماعي ذاته و لكن  منظورا إليه في هده المرة من زاوية الخصائص المميزة التي تمثلها سلوكات الأفراد الأعضاء في هده المجموعة . وكذلك انتاجاتها الأصلية (الحرفية ، الفنية ، الدينية..) وأما في علاقاتها مع الحضارة ، فهاته الأخيرة أوسع من الثقافة بمعنى أنها تشتمل الثقافة و لكن لا تشتمل الحضارة ، فالحضارة تشتمل الجانبين المعنوي و المادي، أما الثقافة فهي تحمل الجانب المعنوي بما يشمل من التراث الفكري، و لكن قد تبدوا العلاقة بين هاتين المصطلحين  وثيقة، حيث قد تكون الثقافة هي الركيزة التي تقوم عليها الحضارة .

إن المهم في طرح و تفسير هاته المصطلحات هو أنها ساهمت في بروز ما يسمى بالانتروبولوجيا الاجتماعية تركيبيا باعتبارها تدرس و تضم هاته المفاهيم ،ادن ،مادا نقصد بالانتروبولوجيا الاجتماعية ؟ و كيف نشأت ؟ و ما هي أهم مراحلها ؟

1**- مفهوم الانتروبولوجية الاجتماعية:**

لا يخفى على احد أن الانتروبولوجيا الاجتماعية ،تعتبر دراسة للسلوك الاجتماعي الذي يشمل النظم و التنظيمات الاجتماعية و علاقاتها التي تختلف داخل الأنساق الاجتماعية للتفاعل و التواصل  ، وهي ذات طابع شبه مستقر كنظام "الأسرة ( وهو نظام قرابي و تربوي و أحيانا تصبح نظاما لمجموعة عمل ) . و كدا نظام الجماعات السياسية أو الدينية أو المدنية أو نظام الأنشطة اللعبية أو الجماعات المهنية، فيعرف "guy rocher " التنظيمات الاجتماعية بأنها أنظمة شمولية لعناصر مختلفة تسمح بهيكلة الفعل الاجتماعي ( تربية كانت أو تبادلا أو ممارسة للسلطة أو فعلا دينيا ) و قد تنشا هده التنظيمات كاستجابة لاكراهات خارجية تفرض ذاتها على الإنسان، و كل تنظيم اجتماعي يشكل ظاهرة شبه مستقلة تخضع لقوانين عملها الداخلي، و لكن هل يمكننا أن نضع الفرق بين الإنسان كحيوان اجتماعي كلاسيكيا و الإنسان الذي يحمل ثقافة ؟ و هل يمكن اعتبار السلوك ضربا من الثقافة ؟

         إن اللغة و الحياة الاجتماعية المنظمة قد أعطت للإنسان أدوات وافية لنقل الثقافات مهما بلغت من التعقيد و المحافظة على تراثها بصورة غير ايجابية ،حيث عملت على جعل الإنسان في حاجة الى ارث اجتماعي، يفوق في ثروته ما تحتاج إليه الحيوانات ،و  نمت المحافظة على المجتمعات البشرية بتدريب أجيال متلاحقة من الأفراد، و لدا كانت المجتمعات هي نفسها حصيلة الثقافة.

2**-نشأة الانتروبولوجيا الاجتماعية و تطورها:**

تشكل الانتروبولوجيا الاجتماعية حاليا احد أهم المباحث الاجتماعية التي تندرج في ما يسمى بالعلوم الاجتماعية ، و تقترح ذاتها كمعرفة للإنسان و علاقاته و سلوكاته و تنظيماته ،فمعرفة الإنسان ليست جديدة مع هده المدرسة ، و لم تظهر فقط داخل الدراسات الاجتماعية الحديثة ، و لكن تضمنتها الفلسفات القديمة و المعارف الدينية و الثقافات التقليدية، لكن مهمة الانتروبولوجيا الاجتماعية هي دراسة المجتمعات الإنسانية  على المستويات الحضارية كافة، و لاسيما دراسة أساليب حياة المجتمعات المحلية من خلال لغاتها و لهجاتها ، و هدا ما جعل هده  المدرسة تنوه الانتروبولوجية على كافة العلوم الإنسانية ، و لعل ما يدل على حداثة هدا العلم هو النزاع القائم بين علماء الاجتماع على هده التسمية ( الانتروبولوجية الاجتماعية) ، و هدا النزاع جعلها تمر بعدة مراحل أساسية وفقا لأهداف معينة . ادن فما هي أهم مراحل هدا العلم الجديد ؟ و ما هي خلفياته و أهدافه الرئيسية ؟

3**-مراحل الانتروبولوجية الاجتماعية و أهدافها:**

         قبل البدأ في ذكر أهم المراحل التي مرت بها الانتروبولوجية الاجتماعية لا بأس أن نتطرق لأهم العوامل التي ساهمت في بروز هده العوامل الجديد، و هنا نستحضر كتاب "روح القوانين" لمونتسكيو"  و الذي أكد فيه أن المجتمع البشري و ما يحيط به ، يتكون من مجموع نظم مترابطة ، بحيث لا يمكن فهم القوانين عند أي شعب من الشعوب ، إلا ادا درسنا العلاقات التي تحكم هدا النظام ، و ميز كذلك بين البناء الاجتماعي و النظام القيمي ،و أوضح أن المجتمع ذاته و ما يحيط به ،  يتكون من نظم يرتبط بعضها ببعض ارتباطا و وثيقا ، و بالتالي لا يمكن فهم القانون العام لدى أي شعب إلا ادا درسنا العلاقات بين هده القوانين كلها.

وهناك نظرة العالم الاجتماعي " سان سيمون " ، فرغم انه لم يقصد إنشاء علم الانتروبولوجيا الاجتماعية ، فهو قد قصد إيجاد علم خاص يدرس النظم الاجتماعية و علاقاتها بشكل موضوعي، وكل هده الأسباب يمكن اعتبارها مرحلة تمهيدية لبروز الانتروبولوجية الاجتماعية.

أما في النصف الثاني من القرن 19 ، أي فترة نشوء الانتروبولوجيا كعلم مستقل عن الفكر الفلسفي و معترف به ابستومولوجيا ، كانت العديد من الإسهامات و الكتب التي بحثت في هدا العلم و حددت معالمه الأساسية و لاسيما مؤلفات كل من ( تايلور و ماكلينان) في انجلترا (و بافوفين ) في سويسرا ، حيث اهتم هؤلاء بجمع المعلومات عن الشعوب البدائية ، و أبرزها بصورة منهجية منظمة من خلال دراسة النظم الاجتماعية في حدود الابنية الاجتماعية لهده المجتمعات. وليس في حدود الفلسفة و علم النفس ، فوضعوا بدلك أسس علم الانتروبولوجية الاجتماعية.

ولكن هده الدراسات لم توضع بشكل ميداني بل تبقى نظرية تجريدية ، و هنا ظهرت مدرستين متداخلتين هما : النشوئية و التطورية ، فالأولى تركز على الأسس العلمية لهدا العلم و الثانية تركز على دور التطور في حياة الجماعة الاثنية أو البشرية عامة. ويمكن القول بان هده المدرسة في مجال الانتروبولوجية قد تأثرت الى حد كبيربالنزعة التطورية "الداروينية" و المباحث التاريخية التي ولدتها ، بموجب هده النزعة ينظر الى البشرية في تطورها باتجاه التقدم الدائم ، فالمجتمعات تنحو الى الانتقال من حالة البساطة النسبية في تنظيمها الى حالة متزايدة التعقيد و التمايز، فالإنسان في ظل شروط وجوده الأولية داخل الطبيعة ، قد اضطر بفضل تكيفه حسب داروين –الى تنمية خصلتين من خصاله ، ضروريتين لبقائه على قيد الحياة هما:

لياقته البدائية و شيء من الحس الخلقي أو ضرب من الغريزة المجتمعية ، وهدا ما مكنه من التكيف مع البيئة على نحو أفضل من غيره، فبالرغم من أن هدا المبدأ يعتبر بيولوجيا في الأصل ، فانه كان مفيدا للانتروبولوجيا اد يقول الاستاد "الفريد كروبر" أن هده النظرية دفعت علماء القرن 19 الى البحث الحقيقي في أصل الأنواع ، وهنا ظهرت كتابات تتناول مواضيع عدة كأصل اللغة و الحضارة و المجتمع.

وفي الربع الأخير من القرن 19 ظهرت بحوثات ميدانية ، مما زاد في  بروز هدا العلم ، خصوصا الدراسة الميدانية التي قام بها العالم الانجليزي " هادون " على منطقة تور ليس) وذلك بتحديد منهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

أما في القرن 20 و صلت الأنثروبولوجيا الاجتماعية الى مرحلة التخصص و دلك بدراسة للبنى الاجتماعية للمجتمعات ، و لاسيما القديمة منها ، حيث ازدادت البحوث الميدانية وهنا نستحضر بحث "راد كليف براون" على سكان "البنغال" ثم بحث  "مالينوفسكي" الذي يعتبر أول بحث أنثروبولوجي يتمكن من فهم حياة الناس و علاقاتهم الاجتماعية.

**أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية:**

       يمكن القول أن الانتروبولوجيا الاجتماعية تشتمل ثلاث أهداف رئيسية يمكن إدراجها فيما يلي:

1: تحديد نماذج عالية للأبنية الاجتماعية ، ودلك بضرورة اتفاق العلماء على هده النماذج و ضرورة وجود مصطلحات شاملة للانتروبولوجيا الاجتماعية.

2: تحديد مظاهر التداخل و الترابط بين النظم الاجتماعية، ودلك باستخدام المنهج الكلي و عدم الاقتصار على الوصف قصد تدقيق دراسة هده المظاهر و الخروج من الحس الفلسفي النظري الى المنهج الامبريقي.

3:تحديد عمليات التغير الاجتماعي ، حيث تهدف الدراسات الانتروبولوجية الاجتماعية ، الى تحديد خصائص هدا التغير و عملياته ، و التي تحدث في الأبنية الاجتماعية ، سواء ذات المعدل السريع في التغير أو المعدل المتوسط أو البطيء ،وكل هدا الاختلاف في المجتمعات جعل هدا المعدل يختلف و بالتالي تعقده.

**ثالثا:المدارس الكبرى في الأنثروبولوجيا**

من خلال التاريخ المؤسس للأنثروبولوجيا، انطلقت جهود التنظير العلمي في بناء نظريات شاملة

لمعطيات امبريقية وفكرية ومنهجية تفسيرية، بحيث تفرّقت وتعدّدت في اتجاهات ونظريات أهمها التطورية،

الانتشارية، البنائية الوظيفية والنفسية.

-1الاتجاه التطوري الاجتماعي

نبدأ بالطرح الدارويني الذي يشير إلى أن الاستمررا وبقاء المخلوقات في ظل التغي ا رت والتحولات

البيئية، يتطلب حتمية التكيف مع الظروف الجديدة، من خلال صفات وقد ا رت تسمح لها بتحقيق الموائمة البيئية الضرورية للاستم ا رر والبقاء ومقاومة التغي ا رت الخارجية. وبذلك فإن الأكثر قدرة واستعدادا هم الذين يصمدون وغير معرضون للزوال، فالتطور هو التغير للتكيف الأحسن مع المحيط.

وهذا ما يفسر خضوع الكائنات العضوية إلى مبادئ التطور والتكيف والص ا رع من أجل البقاء. ويستند

تشارلز داروين *Charles Darwin* إلى مجموعة عوامل مؤثرة في عملية التطور الاجتماعي، أهمها: التحول،

التوالد، التنازع على البقاء والبقاء للأقوى. حيث طبقت هذه المبادئ في تفسير نشأة وظهور النظم الاجتماعية،

أين حاول علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون تطبيقها على الإنسان العاقل لمعرفة م ا رحله التطورية.

وبصورة عامة تم تدعيم هذه الأفكار ضمن الأبحاث العلمية التي أوضحت أن الحياة قد نشأت من

البسيط إلى المعقد، فهي لم تنشأ دفعة واحدة، والإنسان قد نشأ في سيرورة هذا التطور العضوي عبر البعد

الزمني، خاصة فيما يتعلق بصفاته الهيكلية والمظهرية )الشكلية

لقد تأثر أنصار الاتجاه التطوري بالتطور الأحيائي في الجوانب الثقافية والمادية والروحية، بحيث ربطوا

بين عناصر الثقافة وبين مؤسساتها بشكل كلي، لكون الثقافة تشكل كيانا متكامل الأج ا زء. لذلك من الضروري حسبهم المقارنة بين الثقافات البشرية عن طريق نظم تطورها أو مقارنة مؤسساتها ببعضها البعض، لأن البشرية لا تسير في وتيرة واحدة خلال عملية التطور الثقافي، وإنما في اتجاه متباين. لذلك فإن التنوع الثقافي بين الشعوب هو تطوري، الأمر الذي يلزم الشعوب الأقل تطو ا ر في المستوى الثقافي، أن تلحق في فترة غير بعيدة زمنيا بالشعوب المتقدمة، لأن التقدم نحو الأفضل هو الغاية الأساسية من التطور العضوي والثقافي عندالإنسان.

ويتمسك التطوريون الثقافيون الاجتماعيون بفكره أن البشر جميعا متساوون في وحدة التفكير والسلوك

رغم اختلاف انتماءاتهم السلالية والثقافية. فكل الثقافات الإنسانية محكوم عليها بالتطور، وأن الفروقات البشرية هي نتاجا للأوساط الطبيعية والجغ ا رفية لذلك، فإن فكرة التطور الحضاري هي تطو ا ر خطيا عموديا تصاعديا لما أنجزه الإنسان عبر م ا رحل حضارية مميزة بخصائصها، فالإنسان واحد في تركيبته وتكوينه النفسي والبيولوجي منذ أن وجد وتطور كمجم وعات بشرية أولى متماثلة ومتطابقة. والاختلافات في القد ا رت والذكاء هي مرتبطة باختلاف المعطيات

الو ا رثية وأصل السلالات، وبالتالي لا مجال للق ول بالحتمية التاريخية، مادامت هناك إمكانية حدوث الوضعية الحضارية في أي فترة زمنية.

 لويس هنري مو رغان *Lewis Henry Morgan* 5885-5858 م( (

أنثروبولوجي ومحامي، بدأت د ا رسته على سكان الشمال الشرقي الأمريكي )الإيروكيز( الأصليون ،

حيث لاحظ فيها بعد العديد من الزيا ا رت، انتشار النظام الأمومي الق ا ربي، الأمر الذي جعله يستفسر من

المبشرين عن أشكال الأنظمة الق ا ربية في المجتمعات التي يقومون في النشر فيها، فتمكن من المقارنة بين

960 نظاما ق ا ربيا في العالم. ومن أهم إسهاماته خاصة من خلال زيا ا رته الميدانية، أنه اكتشف تناقضا في العلاقات الق ا ربية وواقعها الفعلي لدى الإيروكيز، إذ أن أبناء العم والعمة في هذا المجتمع، يطلق عليهم أشقاء وشقيقات. أما أبناء الخال والخالة، فيسمّون أبناء العم. الأمر الذي جعله يقوم بتحقيقات ي ا رجع فيها نظام الق ا ربة ومصطلحاته، كما سبق في 960 مجتمعا في العالم. وتوصل إلى أن أغلب الأنماط الق ا ربية السائدة في المجتمعات الأخرى كانت موجودة ومنتشرة في مرحلة سابقة للوجود البشري ثم انقرضت. وبناء على ذلك، أعاد بناء تطور النظام القرابي على أربعة م ا رحل.

اتسمت المرحلة الأولى بعدم وجود نظام للمحرمات، فالإخوة والأخوات والأبناء والأولاد كانوا أزواجا

وزوجات، بمعنى سيادة الاختلاط الجنسي في شكل قطيع بدائي. وكانت المرحلة الثانية هي بداية تحريم الزواج

من الفروع والأصول مع استم ا رريته من الإخوة والأخوات، بحيث يتماثلون كأزواج وزوجات. لكنه تم منع هذا

الز واج المختلط للإخوة والاخوات في المرحلة الثالثة، لكن من نسل الأم فقط ليمتد بعد ذلك للإخوة والأخوات

من جميع الحواشي، وبذلك يصبح الرجال أزواجا لنساء لسن أخوات والنساء زوجات لرجال ليسوا إخوة، مع بقاء النسل من جهة الأم، وهو النمط المنتشر في مجتمع الإيروكيز. وتأتي المرحلة ال ا ربعة، أين تحول النسب من الأم إلى الأب، نتيجة ظهور نظام تربية المواشي والز ا رعة وتحول الملكية إلى ال رجل، فانتقل المجتمع من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي. ومع تطور هذا النظام، برز النظام الزواجي الحديث.

وعموما، فإنّ ما يميّز لويس هنري مورغان، أنّه معاينا مباش ا ر لعادات السكان المحليين، بما ساعده

ذلك على تأكيد فكرة الأصل المشترك، خاصة فيما يتعلق بالب ا رهين التي جمعها واستخلصها من مصطلحات

الق ا ربة، والتي رتّبها إلى مجموعتين: أنساق الق ا ربة غير الأحيائية، بمعنى معرفة اجتماعية، وأنساق ق ا ربة وصفية.

وحسبه، فإن تاريخ البشرية قد مرّ بثلاثة م ا رحل متتالية هي الهمجية، البربرية والحضارة، وذلك من

خلال أو بفعل التغي ا رت التقنية والاقتصادية والتحولات المؤسساتية. لكن أفكاره هذه لاقت العديد من الانتقادات أهمها اعتماده على التخمين دون حجج أكيدة. فضلا عن مبالغته في وصف وتصنيف الشعوب.

أما إسهاماته فيما يتعلق بتطور المجتمعات الإنسانية، فقد أدرجها في ثلاثة م ا رحل، حيث تمثل كل مرحلة نمطا ثقافيا تقاس على أساسه أشكال العلاقات والنظم السائدة، وحسب اعتقاده، فإن كل المجتمعات تمر

بنفس السيرورة المرحلية التي رسمها لتطور المجتمعات البشرية. فضلا عن أن كل مرحلة تحوي بداخلها م ا رحلها الفرعية الخاصة بها.

ويرى لويس هنري مورغان أن بداية هذا التطور تكون مع مرحلة التوحش أو الهمجية، والتي يصنفها

إلى مرحلة توحش دنيا-وسطى-عليا. حيث تمثل مرحلة التوحش الدنيا الطفولة الإنسانية الشبيهة بالحياة

الحيوانية، أين كان الطفل يتغذى على النباتات والثمار التي يلتقطها ويجمعها، وهي غير متواجدة حاليا. ثم

تأتي مرحلة التوحش الوسطى، وهي أكثر تقدما من الأولى، أين بدأ يكتشف هذا الكائن الحي الطبيعة واستغلالها لتلبية حاجاته البيولوجية من أجل المحافظة على بقاءه، مثل اكتشاف النار واستعمالها لطهي الطعام وإنارة كهوفهم. ثم تطور أكثر في مرحلة التوحش العليا، والتي اكتشف فيها كيفية الاعتماد على نفسه وتحقيق تكيفه مع البيئة المحيطة به، فأصبح يصطاد طعامه بنفسه، وانتقل من جامع للطعام إلى منتج لغذائه.

ومن مرحلة التوحش إلى مرحلة البرب رية التي انتقل فيها الإنسان إلى إبداعات جديدة في الإنتاج والتصنيع، وبالتالي الخروج من عزلته وتشكيل الجماعات الاجتماعية. وهي بدورها تنقسم إلى مرحلة بربريةدنيا، وسطى، عليا. ففي المرحلة البربرية الدنيا بدأ بصناعة الفخار وطوّر إبداعاته للتكيف وتحقيق أكبر تفاعلات جماعية ممكنة. ثم انتقل إلى المرحلة البربرية الوسطى التي تخصص فيها بصناعة الآلات والأدوات المعدنية وبداية الكتابة الصورية، والتي تحولت فيما بعد في المرحلة البربرية العليا إلى كتابة حرفية تسجل فيها مختلف الصيغ الكلامية الإبداعية لهذا الإنسان.

ومن التوحش والبربرية إلى المرحلة المدنية، أين تم اخت ا رع الحروف والكتابة والفن والصناعة. وتتواجد

هذه المرحلة لحد الآن، والممثلة خاصة في أوروبا.

وبهذا تكون هذه المرحلة هي آخر م ا رحل الانسان حسب لويس هنري مورغان. )1(

 إدوارد برنت تايلور *Edward Burnett Taylor* 2121-2381 م( (

ذكره علماء النفس والمؤرخين والفلاسفة وعلماء الحياة وكل المهتمين بالسلوك والفكر البدائي، بما عزز

أهميته في الحقل الأنثروبولوجي. لقد ركز تايلور على الطريقة المقارنة بين بيئات مختلفة بفعل العوامل

التطورية. كان شغوفا لد ا رسة الثقافة في قلب المدن الكبرى، فضلا عن شهرته بالج أ رة والتميز مقارنة مع من

سبقوه في الحقل الأنثروبولوجي، بحيث ساعده شغفه وميوله العلمي والمعرفي على الخوض في العديد من

المسائل غير المتناولة من طرف علماء الأناسة.

تعتبر أعماله ومجهوداته المتميزة والموهوبة، بمثابة ثورة في حقل العلوم الاجتماعية بصفة عامة،

والأنثروبولوجيا بصفة خاصة. حيث مهدت مجهوداته وث ا رءه المعرفي في التأسيس العلمي لعلم الأنثروبولوجيا

والإثنولوجيا، كما يرجع الفضل أيضا في هذا التأسيس العلمي للعديد من الرحالة والباحثين.

تناول تايلور بالتفصيل تطور المعتقدات الدينية، حيث توصل في د ا رساته وأبحاثه إلى أن الإنسان الأست ا رلي يؤمن بوجود الجسد والروح، وعند الموت تبقى الروح حية. وبالتالي، فالإنسان لجأ إلى معرفة الروح من خلال بحثه وتساؤله عن الفرق بين حالة الإنسان وهو نائم وبين حالته وهو مستيقظا، وما هو الفرق بين الموت والحياة؟، وما هي الأسباب التي تكمن في الأحلام؟ وما الفرق بين حالتي الإنسان في الحزن أو الفرح؟. فمثل هذه التساؤلات أدت إلى الاعتقاد بوجود روح وجسد للإنسان، وتعدى الأمر إلى الإيمان بالأرواح لدى جميع الكائنات الحية وغير الحية) وينقسم الإيمان بالأرواح في أ ري تايلور إلى مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة الإيمان بالأرواح الدنيا، والتي تعني باستم ا رر الروح بعد الموت، فهي ترتبط بطبيعة الأعمال التي قام بها قبل مماته. ومرحلة الإيمان بالأرواح العليا، أين يعتقد الإنسان بأن روحه هي المسؤولة عن أعماله في حياته بعد الموت. وهذا ما يفسر ما مرت به مرحلة التطور الثقافي الروحي، بحيث ميزها تايلور حسب المعتقدات الدينية إلى ثلاث فت ا رت م رحلية، تبدأ بالإيمان بالأرواح وقدسيتها، ثم الإيمان بتعدد الآلهة ) لكل قبيلة إله خاص بها(، وبعدها مرحلة الإيمان بإله واحد قادر على كل شيء.

ومن خلال مؤلفه "الثقافة البدائية"، فقد عرّف الثقافة ككل معقد بضم المعرفة والعقائد والفن والأخلاق

والقانون والعادات وط ا رئق عيش الإنسان في المجتمع.

فالثقافة هي عنصر أساسي في فهم تاريخ الإنسان كظاهرة تاريخية تميّزه عن غيره ويتعلمها من مجتمعه، فهي انعكاسا لتطوره داخل المجتمع ضمن عاداته وتقاليده. وبهذا يكون تايلور من الأوائل الذين أدخلوا مفهوم الثقافة بمعناها الواسع للأنثروبولوجيا، متجاو ا ز بذلك المعنى الضيق الذي يقصي كل ش ا رئح المجتمع،

فالثقافة حسبه هي دائما ثقافة جماعة- مجتمع. وعلى ضوء هذا التحليل الثقافي، توصل تايلور إلى نمو الثقافة التي أخذت في الانتشار من خلال الأدوات المنتشرة في المجتمعات القديمة. بمعنى أن ما نتعلمه من جي ا رننا على حد تعبيره، أكبر مما تخترعه بأنفسنا وبأيدينا. فالفخار مصدره المكسيك، لكنه انتشر في أمريكا، القوس والسهم والشطرنج مصدرهم الهند ثم انتشروا في أمريكا والمكسيك. لكن ما يلاحظ على هذه التحليلات، أنها متناقضة مع انتماءاته، ف أ ريه أقرب إلى النزعة الانتشارية. )وهو كغيره من التطوريين، درس نظام الق ا ربة والكوفادة\*(. حيث بحث فيما يسميه بنظام الزواج الاغت ا ربي المحلي ونظام الزواج من نسب الأم )ابن الخال والخالة(.

وبالرغم من تبنيه النزعة التطورية في الانتقال من البسيط إلى المعقد ومن الاتجاه السفلي إلى الاتجاه العلوي، ومن اللامعقول إلى المعقول، إلا أنه يعترف بوجود ستاتيكا نسبية في هذا التطور تمنع حدوث التغي ا رت المطلوبة، خاصة ما اكتشفه في النظام الأمومي والأبوي. فبالرغم من أن النظام الأمومي أقدم من الأبوي، لكن

يوجد بينهما نظام وسيط يختلط فيه النظامين، وهو نظام الكوفادة الذي يعكس بقايا النظام القديم في مضامين النظام الجديد السائد.

ومما يلاحظ على مساهمات تايلور في مجالات علم الإنسان، انه لم يذكر آليات تطور النظم الاجتماعية أو كيفيات هذا التحول التاريخي. كما أنه لم يتقيد بالنزعة العلمية الموضوعية في د ا رسة المعتقدات الدينية .

جيمس جورج ف ا ريزر James George Frazer 6826-6962 م( أخذ لقب سير ( Sir

يعتبره البعض خاتمة العلماء الأنثروبولوجيين الكلاسيكيين الذين اشتهروا بكتاباتهم في فلكلور الشعوب

اولدين المقارن، فقد مثل أحد أهم الحقبات التاريخية التي تطورت فيها الد ا رسات الأنثروبولوجية. عيّن سنة

6803 م أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة ليفربول *Liverpool* ، لكنه بعد فصل د ا رسي واحد عاد إلى

كيمبردج التي ارتبط اسمه بها حتى وفاته اتسم تفكيره بالاتساع والشمول ضمن تكوين علمي موسوعي شمل علوم الطبيعة والأحياء، اللغات الكلاسيكية والقديمة مثل اليونانية واللاتينية، كما درس التاريخ والفن والآداب. خلّف جيمس ف ا ريزر إنتاجا علميا ضخما، أين تأسست شهرته في مؤلفه الكلاسيكي الشهير"الغصن

الذهني" 6980 م والذي تضمن د ا رسة في السحر والدين، حيث عرض فيه نظرية التطور لأساليب التفكير

والفكر السحري التأليفي بالمقابل مع الفكر العلمي التحليلي

 لقد تركزت نظريته في السحر وفي تطور المجتمعات عبر السحر والدين والعلم، مستدلا بضعف

الإنسان وقصوره في السيطرة على الطبيعة في بداية الأمر، وبعدها اعتمد الانسان على الآلهة ليتمكن من

السيطرة على الطبيعة، وهنا فقد سبّق العقل الديني على العقل السحري، مما كلّفه ذلك العديد من الانتقادات. فالسحر في أ ريه هو علم مسبق يشبه العلم المزيف.

 وفي هذا السياق، فإن ابن خلدون قد سبقه في القول بأن السحر هو علم وفن، لما يحتويه من تقدمات

وط ا رئق تتطلب قد ا رت ومها ا رت. وبالرغم من الجدل الكبير حول هذه المقارنة بين الدين والسحر وفي تفسير الفروقات من طرف العديد من العلماء، إلا أن أبحاث جيمس ف ا ريزر كانت بمثابة موسوعة علمية جعلته من أهم رواد الفكر الأنثروب ولوجي،

فقد تعددت مجالاته البحثية في مختلف المجالات الإنسانية والمعرفية ذات الصلة الوثيقة بالبحث الميداني.

وتبقى قيمته المعرفية في تطوير البحث الميداني متجسدة، بفضل كثرة وتعدد رحلاته وأسفاره إلى مختلف أنحاء

العالم. وبفضل هذا الانبعاث العلمي نحو التطور، يكون للتطورية الفضل في تصحيح المفهوم الخاطئ الذي

كان سائدا لدى الإثنول وجيين خاصة بين السلالة والحضارة. وتبعا للتحليل التطوري للحضارة، فلا يمكن عزل التطور التكنولوجي عن التطور الاجتماعي، حيث سجل تاريخ المجتمعات تطو ا ر تكنولوجيا ملموسا في الأنظمة المجتمعية، وفي المقابل، سجل أيضا قصو ا ر وعوائق في التطور التكنولوجي لأنظمة مجتمعية أخ رى، بما يؤثر ذلك على النمو الحضاري.

لذلك، فإن علاقة التأثير المتبادلة بين تطوير التكنولوجيا وتطور المجتمع هي علاقة ثابتة، ولكنها غير

متساوية من حيث درجة التأثير، لأن التطور هو حقيقة تاريخية حضارية تشمل جميع الأمم والشعوب

والحضا ا رت.

لكن هذه المغالاة لرواد هذا الاتجاه في فهم الحضا ا رت القديمة والحديثة، والبحث في تكويناتها وتطورها،

جعل منه عاملا شموليا وإقصائيا للعوامل الأخرى التي تؤكدها الحقائق التاريخية.

**- الاتجاه الانتشاري**

هو رد فعل مناهض للأفكار التطورية، برز لتفسير عمليات التغير الحضاري لتاريخ الإنسان، حيث افترض المناهضون للتطور، أن الاتصال بين الشعوب المختلفة ينتج عنه بالضرورة احتكاكا ثقافيا وعملية انتشار لبعض أو كل السمات الحضارية لمختلف الشعوب في إطار عملية تطورية، وهو ما ركز عليه ا رئد المدرسة الجغرافية ا رفية الألمانية فريدريك ا رت ا زل، حول أهمية الاتصالات والعلاقات الحضارية بين الشعوب ودورهافي النمو الحضاري.

ومن أهم مبادئ الانتشاريين، أن انتشار أي عنصر يتطلب توافر الاحتكاك والوقت، مما يساهم ذلك في انتشار بعض العادات والتقاليد وغيرها من المظاهر الثقافية. بمعنى انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع لآخر، مع الأخذ في الاعتبار الحواجز المانعة لهذا الانتشار والتي نجملها في الحواجز الطبيعية )العزلة في الصح ا رء أو الجبال أو البحار(، وحواجز اجتماعية خاصة بالانتشار الثقافي الديني والعقائدي.

كما تتوقف سرعة الانتشار على حجم المجتمع ومساحته ومدى تأثيره بالمجتمع الذي يحتك به، دون إغفال أنواع أخرى من الانتشار، مثل الانتشار التعمدي أو المقصود )نشر ثقافة المستعمر على المحتل(،

والانتشار بالصدفة بفعل التأثر بمجتمع آخر.) 3 ) لاو نهمل أيضا أهمية العوامل النفسية في فرض حواجز الانتشار الثقافي، فهي من أهم الحواجز المقاومة لانتشار العناصر الثقافية، لكونها متوقفة على مدى تقبل

البيئات الثقافية المعنية بالانتشار واستقبال الثقافة الخارجية. وفي المقابل، فهي ترتبط بالخصوصية الثقافية

وأهمية الاستعدادات النفسية والاجتماعية.

ومن أهم ما تركز عليه الانتشارية، أن نمو المجتمعات يتم بفعل الاحتكاكات الثقافية بين الشعوب،

أكثر من التقليد والمحاكاة، أون النمو مرتبط بالإبداع والإضافة والتعديل.

ومن خلال أسلوب التتبع التاريخي لنشأة النظم الاجتماعية والثقافية، يؤكد الانتشاريون أن لكل نظام

اجتماعي وثقافي بدايات وأصول انتشرت منه، وانتقلت إلى مختلف المجتمعات بفعل الاحتكاك والهجرة والتواصل بين الشعوب رغم فقدانها لبعض خصائصها عند امت ا زجها بثقافات أخرى محلية.)

وفيما يتعلق بالسمات الثقافية، يعتبرها ف ا رنز بواس الملقب بالثقافوي، مجرد ابتكا ا رت وحيدة وحقائق

عقلية مستقلة عن التطور الفيزيائي، مما جعلها تبتعد عن النهج التطوري مسافات. )

وتأسيسا على ذلك، يؤكد الانتشاريون أن لكل شعب ت ا رثه الثقافي المميز له، وأن التطور الثقافي ليس

خطيا، وليس بالضرورة أن تكون هناك حتمية لوج ود علاقة في التطور بين التكنولوجيا والنظام الثقافي

.فكثير ما يوجد نظاما ثقافيا متطو ا ر، دون حضور تكنولوجيا متطورة. وهي الأفكار التي قادت الانتشاريين إلى اكتشاف الدوائر الثقافية الأولى المركزية وتتبع انتشارها من المركز. وعليه فالانتشار الحضاري يكون من وإلى

المجتمعات. وهنا يبرز بوضوح أن السعي إلى إيجاد حلقات وصل بين الحضا ا رت والعلاقات الت ا ربطية اولبحث في العوامل التاريخية، هو المنهج المفضل لدى الانتشاريين، والذي يقودهم حسب أ ريهم إلى البرهنة على أن كل الحضا ا رت صادرة عن مجتمعات معينة موحدة)

لكن هذا التوجه الانتشاري، قد أهمل الفارق الزمني بين الحضا ا رت، بحيث دخلت المدارس الانتشارية

في حرب المصطلحات والألفاظ وتوغلت في التنظيم الذي أبعدها كثي ا ر عن الواقعية.

وعلى الرغم من الوجهة الإيجابية لهجرة الحضا ا رت وانتقالها من مكان لآخر كمسلمة أسست عليها

الانتشارية مقولاتها، إلا أنها تنطوي على وجهة سلبية أخرى، تمثلت في تضييق الفرص لإنماء حضا ا رت أخرى

بديلة مستقلة. وتتلخص مدارس هذا الاتجاه في ثلاث مدارس: المدرسة البريطانية، والمدرسة الألمانية والنمساوية، والمدرسة الأمريكية.

فالمدرسة الأولى )البريطانية( ع رفت بأحادية المنشأ، ومن أبرز ممثليها إليوت سميث *Grafton Elliot Smith* 6873-6936 م(، الذي ركز أبحاثه على الآثار القديمة والهياكل البشرية. فحسبه أن أصل الثقافات (

هو الثقافة المصرية القديمة، وبتوفر الظروف الملائمة وزيادة الاتصالات، انتقلت وتوزعت إلى باقي المجتمعات

العالمية الأخرى . وقد وضح أفكاره هذه في مؤلفه "هجرة الحضا ا رت" عام 6866 م.

كما برز وليام جيمس بيري *William James Perry* 6828-6999 م( مساندا لفكرة أحادية (

المنشأ في كتابه " أطفال الشمس"، والذي شرح فيه أن الحضارة المصرية هي مركز انتشار الحضا ا رت.) 1( وفي

نفس هذا الاتجاه، نجد الأنثروبولوجي البريطاني وليام هالس ريفرز *William Halse Rivers* -6912(

6899 م(.

وبعد أحادية المنشأ، تظهر المدرسة الألمانية والنمساوية بفكرة تعددية المنشأ، والتي تعتقد في وجود

م ا ركز متعددة لنشأة السمات الثقافية في العالم، بحيث تنشأ من خلالها سمات مشتركة. وحسبه أنه من هذه

الم ا ركز قد انطلقت الثقافات وانتشرت عالميا. وكلما اقتربنا من إحدى هذه الم ا ركز، تزداد معها وحدة وكثافة هذه السمات. ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه فريدريك ا رتزل *Fridirik Ratzel* 2191-2311 م( صاحب كتاب ( الجغ ا رفية السياسية، والذي اعتمد فيه على المنهج الجغ ا رفي التاريخي في تحليل فهم الثقافات وتطورها عبر الاتصالات والتبادلات الثقافية. حيث يرى أن الز ا رعة تعود أصولها للفأس أو المح ا رث، مما أسهم ذلك في تعدد أشكال الثقافة الز ا رعية في العالم. كما ترجع إليه فكرة الحدود البيولوجية التي تنتهي فيها عملية الاستعمار أين تنتهي مصالح تلك الدول. وأيضا صاحب فكرة الحدود الشفافة التي توجد فيها دولة داخل حدود دولة أخرى لخدمة مصالحها دون استعمار مباشر.

6823 م(، الذي طور مفهوم الدائرة الثقافية إلى - ونجد رواد آخرين أمثال كلارك دفيد ويسلر) 6930

المنطقة الثقافية، فالعالم حسبه مشكل من مجموعات ثقافية، تضم كل مجموعة عددا من الثقافات المتشابهة، وداخل كل منطقة مرك ا ز تمثله ثقافة محورية تضم عددا من السمات المشتركة.

6810 م( صاحب مفهوم الانتشار الثقافي في مؤلفه - وفي نفس الاتجاه نجد ألفريد لويس كروبر) 6931

6810 م( صاحب "تصنيفات مفهوم الثقافة" هو وزميله ألفرد - "انتشار المثي ا رت". وزميله كلايد كلاكهون ) 6806

6810 م(. - لويس كروبر) 6931 فجميع رواد هذا الاتجاه قد أدخلوا مفاهيم الدائرة الثقافية لمجال الأنثروبولوجيا وانتشار الثقافات عبر المحيطات. أما المدرسة التي جمعت بين المدرستين، فهي المدرسة الأمريكية والتي أكدت على نشأة الثقافة من مركز جغ ا رفي واحد، ولكنها شكلت م ا ركز متعددة وموازية لها، وأصبحت تتمتع بالقدرة على إنتاج أشكال ثقافية مختلفة تماما عن أصلها، بمعنى صرحوا بإمكانية ابتكار الثقافات الأخرى لسمات جديدة

ومن أهم روادها ف ا رنز أوري بواس *Franz Uri Boas* 2111-2383 م(. الذي تركزت فكرته الأساسية (

على أن الفهم المتكامل لجوانب الثقافة، يلزمه بالضرورة فهم أعمق لخصائص وسمات الشخصية الفردية من

منظور سيكولوجي يرتبط بفهم وتفسير الصيغ الثقافية.) 2 ( فالثقافة هي الأساس في تشكيل شخصية الأف ا رد، وأن الفرد يخضع كليا للثقافة. الأمر الذي دفع بالعديد من الأنثروبولوجيين إلى نقد هذا التوجه الذي يجعل الفرد عنص ا ر متأث ا ر لا مؤث ا ر، ومن بين هؤلاء الناقدين، إدوارد سبير *Edward Sapir* الذي أ رى في هذا الأمر إقصا ء للفرد وتعصبا فكريا.

كما أكد ف ا رنز بواس على مبدأ الحتمية في د ا رسة الثقافات كأنساق متكونة من أج ا زء متداخلة، لكونها

تشكل ثقافة كلية. واستطاع بذلك أن يتحقق من أن العملية الانتشارية ليست نتاج أفعال أوتوماتيكية للاتصال الثقافي، فالأف ا رد يغيرون في معناها وفي شكلها عندما يصبحون جزءا من النمط الثقافي.)

وسياقا على ذلك، يرفض بواس مبدأ اتساق التغير التطوري في كل المجتمعات، فالعناصر الثقافية هي كثيرة ومتشابهة وتوزع في مجتمعات مختلفة، وهذا التشابه هو بفعل الانتشار الثقافي. فحسبه أن معظم

السمات الثقافية يمكن أن تتصف بالعالمية رغم عزلتها عن بعضها البعض، وأن لكل ثقافة خص وصيتها وسمات خاصة بها تتعلق بماضيها وحاضرها، فهي متميزة وفريدة في خصائصها.

وفي سنة 6897 م، أثار كتابه "عقلية الإنسان البدائي "*The Mind of Primitive Man* ضجة

كبيرة، حيث تم إح ا رق نسخ الكتاب من طرف النازيين في الثلاثينيات، وإلغاء شهادة الدكتو ا ره التي نالها بواس من جامعة كيل بألمانيا. وبعدها ظهر كتابه " الفن البدائي *Primative Art* " في سنة 6893 م، وكتاب "اللغة الثقافية *Language and Culture* " في سنة 6820 م. وهو التاريخ الذي اعتبره أغلب الباحثين بأنه تاريخ

ظهور ونشأة الأنثروبولوجيا الثقافية، تماشيا مع إنجا ا زت بواس في حقل الأنثروبولوجيا.) 5 ( لأن أفكاره هي بمثابة ثورة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكرد فعل قاس للعنصرية والفروق الفيزيولوجية، فكل الأف ا رد متساوون في كسب وإنتاج المعرفة، والتعاون هو نتيجة لعوامل تاريخية واجتماعية وثقافية.

ومن أهم الانتقادات الموجهة لهذه النظرية رغم أهميتها وقيمتها العلمية وشهرتها في الحقول النظرية

المعرفية، إلا أنها أنقصت من الكيان الإنساني وجعلته مجرد مستقبل للمنتوجات الثقافية، دون التركيز على هذا الكائن البشري الذي بإمكانه الوصول إلى أوسع الصور الثقافية، فضلا عن تجاهلها للعوائق المادية والمعنوية التي تقف حاج ا ز للانتشار